

أمثال القرآن

[83] الزوجة، وذلك رغم أنَّ الجمال بحد ذاته قيمة إلاَّ أنَّه يرضي الزوج في الفترة الوجيزة الاولى من الحياة المشتركة، أمَّا القيم الأساسية والمهمة في الحياة العائلية، وهي التربية والثقافة والفكر والقيم المكتسبة في البيت فيبرز دورها في المراحل اللاحقة من حياة الإنسان. والجميلة إذا لم تتميز بسيرة حسنة واخلق جميلة بدلت محيط العائلة المقدس إلى جهنم يصعب تحملها. كما شاهدنا في الايات والروايات السابقة، فإنَّ الإنسان شبَّه بالنبات الذي ينمو ويتكامل، وبهذا يمكن أن نستدل على أنَّ المراد من المشبَّه في الآية هو الإنسان نفسه. وفي النتيجة يكون مفهوم الآية كالتالي: أيها الإنسان أنت كالنبات والإنفاق بمثابة الماء الذي يسقي النبات ليمنحه حياة ونموًا. وبعبارة أخرى: إنَّ الإنفاق يُحيي في الإنسان الصفات العليا مثل السخاء والعطاء والمروءة والانصاف والشجاعة وغير ذلك. إنَّ هذه الصفات في البداية تكون (فعلا) أو عملا مجردا، وإذا ما تكررت تصبح عادة وفي صورة الاستمرار تصبح (حالات) وفي النهاية تكون (ملكة) (1) وجزءا من وجود الإنسان. وعلى هذا، فالإنفاق، قبل ان تكون له عوائد مادية، له مردودات معنوية، وكلما كان الإنفاق عن اخلاص اشد وكلما كان اطهر وانسب كلما كانت هذه المردودات اكثر وأوسع. وقد نكون جميعا جربنا عطاءنا مسكينا لم يصَّرح بحاجته لنا مقدارا من المال (رغم حاجتنا له) وجدنا في ذلك لذة معنوية احسناها بكل وجودنا، وبلغنا إثر ذلك هدوءا باطنيا وحالة روحانية ومعنوية خاصة. ذلك هو النمو والتعالي الذي تشير اليه الآية من خلال مثلها. إنَّ القادر والحكيم بإمكانه أن يغني الجميع ويجتث جذور الفقر من المجتمعات، لكنه شاء أن تكون هناك فجوة بين الفقراء والأغنياء يسعى المؤمنون في ملئها ليروا آثار أعمالهم الحسنة وبركات انفاقهم في الدنيا ويشعروا بهذه الآثار وبلغوا اثر ذلك الدرجات العليا من الكمال والمعنوية. وعلى هذا فلا نمن على بالإنفاق ولا على المنفق عليه، بل هو الذي يمن علينا أن وفقنا لهذا العمل العظيم 1. ان الملكة تعني (الصفة الراسخة في البدن)، وتوضح ذلك: إذا حصلت للانسان هيئة خاصة من جراء فعل ما قيل لهذه الهيئة: (كيفية نفسانية)، وإذا كانت هذه الكيفية سريعة الزوال قيل لها: (حال)، وإذا كانت بطيئة الزوال كانت ملكة أو عادة (موسوعة دهخدا ينقلها عن الجرجاني).